

## وراء الستار

من نعم الله سبحانه عليه حين ابتلاه بهوس المسرح والسينما أن ابتلاه في الوقت نفسه بضيق ذات اليد ؛ فهو في المسرح ينحط في مقعد خلفي فلا يضايقه صوت الملحن أو الطلاء البشع الذي يكسو وجوه الممثلين والممثلات ، وإذا دخل السينما هرولاً شوطاً طويلاً ثم جلس في مقعد يشعر فيه بأنه يشارك أبطال الفيلم في حياتهم : همسهم له وحده ، وابتسامتهم تحية يخصصونه بها دون الحاضرين . وهو أيضاً مشغوف بالمسارح الاستعراضية ؛ إذ يجد في موسيقاها وتهريجها وراقصاتها أشباه العاريات نشوة لروحه المتعطشة للمرح . . .

ودخل أحد هذه المسارح ذات مساء وهو هامد الجسم متعب الروح تدل نظراته المنطفئة على الهوة الكبيرة بين آماله وأوجاعه ، وقارب البرنامج نهايته وعزفت الموسيقى لحناً معروفاً ، ثم ارتفع الستار عن فتاة شقراء ، شاهد من قبل كثيرات من أمثالها ، وكاد يحول بصره عنها ؛ فحركاتها مفتعلة وقفزاتها نكراء ، ولا فتنة في ثوبها الفضفاض الذي شقه من أمام مقص عابت فكشف عن ساقي عاريتين يتموج عليهما النور والظلال . وضحك في نفسه إشفاقاً عليها وهو يقول : « تتعب نفسها في لا شيء ! » وفجأة أزاحت الستار الجانبي يد يلعب فيها خاتم وخرج من ورائه شاب طويل القامة ، ممشوق القد ، هو صفحة مزقت من « ألبوم » الخياطين : بذلته السوداء ذات الذيل قد ركبها على جسمه كواء صبور ، وربطة عنقه البيضاء قالب من الرمر ، والسلسلة الفضية المدلاة إلى جيب سرواله قيسست بالمليمتر ، ولولا خط الفرق الناصع كأنه مرسوم بالمسطرة ، لما اختلف شعره في لونه ولعانه وتماسكه عن حذائه المصقول .

وقف الشاب لحظة وقد رفع كتفيه ، وقطب حاجبيه ، يرمق الفتاة كما يرمق الصقر الحمامة ، وزادت الراقصة في حركاتها واضطرابها وأخذت تذرع المسرح جيئةً وذهاباً . ثم قطعت الموسيقى دقة عالية من الطبلّة فانقض على

فريسته وطوقها بذراعه ، فجفلت منه ، فلاحقها وأطبق عليها من جديد ، وخرست الطبله وارتفعت أصوات الكمان بلحن بطيء ناعم . ماذا به يسيرها إلى الأمام وإلى الخلف وهي خاضعة بين يديه وإن كان الغضب قد كسا وجهها ، ولكن على من ؟ يا لله ! ما هذه الرجولة ! وما هذا السلطان ! استيقظ صاحبنا من سباته وامتدت رقبتة قليلا . وجه هذا الراقص وجه صارم ، وشفته مطبقتان ، وعينه قاسيتان ، ولساته رغم نعومتها تنبى بأنه اعتاد أن يأمر فيطاع . . . وانفلتت منه الفتاة معرضة عنه ، فلم يبال ، وانصرف عنها ودار على نفسه مختالا وقد ثنى ذراعيه وراء ظهره كهذه الديكة المركبة على المداخل حين تضربها الريح . . . ثم اقترب منها وجذبها إليه جذبة لو كان فيها بقية من الكرامة لصفعته من أجلها على وجهه . وتمتم صاحبنا يقول : « هكذا المرأة حينما تحب » . شدها ورفع جسمها على كفه فاستسلمت كأما ترقد على فراش وثير ، أما ساقها المدلاة فمن بعض الدلال . أخذ يدور بها ، هل يريد أن يدوخها أيضاً ! ثم أنزلها فجأة إلى الأرض فلم تترنح الماكرة أو تغمض عينيها هنية ليرتد إليها بصرها من زوغانه ، بل هبطت في خفة الريشة وعلى وجهها ابتسامة النصر واللذة ، هذا أول الرضا والصلح . . .

وبلغ صاحبنا ريقه وتحرك في مقعده قليلا . . . هو سعيد لأنه وجد في هذا الراقص خير تعبير عن عواطفه ، وعن آرائه في المرأة . . . هي حيوان لا يخضع إلا للسيطرة ولا يؤخذ إلا بالعنف كما كانت تؤخذ جداتها من سواكن الغابات . ولهذا فانه حين يتعرض للفتيات في الطرقات يقابلهن برأس شامخ ووجه متجهم ، وإذا ظلت حياته إلى اليوم خالية من الظفر في معارك الحب فيكفيه رضا أنه لم يذل لامرأة . حقا أنه جرى وراء بعضهن وفي قلبه لهفة وتضرع وعلى لسانه ألف استجداء ، ولكنه لم يفعل ذلك إلا من قبيل التسلية ، وأما ارتداده خائبا كل مرة فشئ يحمد الله من أجله لأنه يحفظ عليه آراءه ومبادئه .

وأنت أوتار الكمان أئينا رقيقا سيلا ، فإذا بجسم الفتاة يكاد يلتصق بجسم الفتى وذقتها بذقنه . . . والتفت ذراعه كالأفعى حول وسطها ، وسمت كفه إلى ما بين نهديها ، وخيل للحاضرين أنهما نسيا العالم والمسرح ومن فيه . . .

نعم إن هذا هو الامتزاج والحب الذي من أجله وحده خلق الرجل . . .

ففسى صاحبنا كبرياءه وسرح ذهنه ، فاذا به يرى نفسه بين يدي امرأة طيبة

القلب رقيقة اللمسة ، رقيقة الإشارة ، رقيقة الابتسامة ، نلفه كما تلف أغصان الشجر إنساناً ضالاً في حمارة القيط ، من أنت ؟ وأين أنت ؟ أيا تكونين وأنى تكونين ؟ فأننا أنتظرُك وسأجلس بين يديك أعترف أن كبريائي جراح أخفيها ، وأن رأسي لم يشمخ إلا لأنه لم يجد صدرًا يستند إليه . ولو كشفت عن قلبي لوجدت معيماً من الحب والوفاء لا ينضب . . . ولو تنبه صاحبنا لوجد أن فتاة أحلامه تشبه هذه الراقصة شبيهاً كبيراً ، غير أنها ترتدى ثوباً لم يعث فيه المقص . . . ولكن هيهات ! أنى له كل هذا ؟ إنه فتي خجول منطو على نفسه ، بل هو مخلوق عجيب كأنما يتكلم بذهنه الثرثار ويفكر بلسانه الأخرس . . . وشاء المولى ألا يجود عليه كما جاد على هذا الفتى بالوسامة والرشاقة وقوة الإرادة ، واختلطت في قلبه عاطفتان متناقضتان : إعجاب بالراقص وكره شديد له . . . وندم على مجيئه للمسرح ، وود لو أنه كان قد ذهب إلى السينما ؛ فهي بلسم النفوس الحزينة التي تشتكى الوحدة .

وبدأت الموسيقى تخف شيئاً فشيئاً وأقدامها تتناقل معها حتى انتهى اللحن وهما على وشك أن يتبادلا قبلة خاطفة . ومالت الفتاة نحو الأرض وثنت إحدى ركبتيها لتحيي الجمهور . أما الفتى فقد ظل ممسكاً يدها ، وحنى رأسه قليلاً ، ثم رفعه فجأة وهو يبتسم . . . وأسدل الستار .

خرج صاحبنا يتنزه كعادته في عصر اليوم التالي ، وسار في الطرقات متمهلاً وهو منكس الرأس ، وفي قلبه إيمان خفي بالمعجزات . . . ومرت به فتاة وثانية وثالثة ، ولكن لم تحس به واحدة منهم .

ووقف أمام واجهة متجر يعلن عن ورود نوع من الجوارب رخيص الثمن ، ندس يده في جيبه وعد نقوده وتوكل على الله ودخل . ولم يكد يربين البائعين حتى وقعت نظرته في قسم المنسوجات على اثنتين من الزبائن جالسين وجهاً لوجه في مقعدين أمام البائع : سيدة عجور أطبقت يداها على محفظة قديمة كأنها تخشى أن تختطف منها ، وعلى رأسها قبعة من القش الأسود اللامع على شكل خوذة ، وبين يديها شاب أصلع محنى الظهر مصفر الوجه كسير النظرة شاحب الجفن ، أصابعه الطويلة النحيلة الناتئة العظام فيها وجل الكلاب الضالة . قال صاحبنا لنفسه : « أين رأيت هذا الوجه ؟ أين أين ؟ وفجأة تذكر ، هذا هو الراقص البديع

بعينه ، ولكن أهذا ممكن ؟ لم تكن لمعة العين إلا من الكحل الأزرق ،  
والشعر الأسود مستعار ، وبهاء الوجه طلاء ، والخاتم « الماس بيره . . . »  
ووقف صاحبنا ذاهلاً برهة ، ثم اقترب منهما وجعل ينظر إلى الأقمشة المعروضة  
وهو يسارقهما النظر والسمع ، فإذا بها تقول له بصوت تخالطه موسيقى الربو :  
— لا تتعجل . ولنحسب حسابنا ، فالقماش غال ويكفيك أن تشتري

مترين وثمانين سنتيمتراً . . . عليها لعنة الله . . .  
— أليس من الخير أن تشتري ثلاثة أمتار كاملة ، فقد أحتاج في المستقبل  
إلى تغيير « الياقة » .

— الآن عقلت ! وأين كنت حين هجمت عليك هذه الدنيئة ومزقت  
« فراك » وأنت ولى نعمتها وكيف لم تنقذ نفسك منها ؟  
— قلت لك يا أماء ألف مرة إننى خفت أن يرتفع الستار مرة أخرى إذ كان  
الجمهور لا يزال يصفق .

— أنت أحمق ! كان يجب حين أصرت على فسخ عقدها معك وأندرتك  
أنها تراقصك ليلة أمس آخر مرة أن تصفعا على وجهها وتطردها . ولكنك  
هددتها بتمسكك بالعقد . . . ولماذا ؟ ألم يتركك كثيرات غيرها فلماذا  
آثرت هذه المرأة ؟ عساك سقطت في حبالها وفتنتك وظننت أنك تحبها . . .  
فأجابها بصوت حزين فيه وسوسة الكذب :

— تعلمين يا أماء أننا لا نخلط في مهنتنا بين العمل والعاطفة .  
— هذا درس لك . وبعد فأنت لم تخسر شيئاً ، ولكنى أنا التى أضعت جهدى  
وتعبى ، فقد أبقيته لك جديداً عشر سنوات واحتفظت به كإنسان عيى ، ولكنك  
أضعته في طرفة عين بفضل هذه الساقطة . وإذا دامت حماقتك فخير لك أن  
تترك الرقص الكلاسيكى إلى الرقص البهلوانى ، فهذا أليق بك وأسلم .  
وخرج صاحبنا من المتجر مهولاً ، وسار في الطرقات يتعرض للفتيات تارة  
بابتسامة ذليلة وتارة بكبرياء وهو رافع الرأس متجهماً الوجه . . .  
ولا يزال إلى اليوم في حيرته . . .

عبي صفي